



**بعد أربعين سنة  
من الحوار الإسلامي المسيحي :  
ما الجدوى وما المستقبل؟(\*)**

**أ.د. / عز الدين إبراهيم (\*\*)**

فكان طبيعياً أن يقوم الحوار بين الإسلام وهذه الأديان جميعاً ، لتتحدد علاقته بها وبأتباعها، خاصة وأن اليهود قد جاوروا المسلمين في المدينة المنورة، وكان للمسيحيين وجود ملحوظ في فجران اليمن، والجزء الشمالي من جزيرة العرب . كما قامت بين المسلمين ومسيحيي الحبشة علاقة ودية أدت إلى هجرة عدد من المسلمين إليها على مرتين.

وقد اشتمل القرآن الكريم على آيتين

**أولاً : بدايات الحوار الإسلامي المسيحي من منطلق إسلامي**

١- تختص هذه الورقة بدراسة (الحوار الإسلامي المسيحي) في مسيرته المعاصرة بعد سنة ١٩٦٤ م . ومع ذلك فمن المفيد الإشارة إلى بواكير هذا الحوار وأوليياته من منطلق إسلامي، لتتضح الصلة بين قديم الحوار وحديثه، وموقف الإسلام المبدئي منه.

لقد جاء الإسلام خاتماً للأديان، وكان آخر دين سبقه هو المسيحية .

(\*) ورقة مقدمة إلى الدورة العاشرة لمؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي التي نظمتها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بدولة البحرين خلال الفترة من ٢٨ - ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٢ م.

(\*\*) المستشار الثقافي بديوان صاحب السمو رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، ومدير جامعة الإمارات سابقاً .

تحت إحداهما على الجدال مع غير المسلمين بصفة عامة، وتحت الثانية على الجدل مع أهل الكتاب بتخصيص. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل: ١٢٥)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٦) (١).

كما خص القرآن الكريم المسيحيين وحدهم بأوصاف رقيقة تحب في محاورتهم. قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بَأْسٌ مِنْهُمْ قَسِيصٌ وَرُهْبَانٌ وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (المائدة: ٨٢). قال: ﴿وَقَفَيْنَا بَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ

رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ (سورة الحديد: ٢٧). وقد نوه النبي ﷺ بهذه الصفات في مراسلاته واتفاقاته مع المسيحيين، كما أن رسله إلى النجاشي عظيم الحبشة، والمقوقس عظيم القبط في مصر، وهرقل عظيم الروم - وهم قادة المسيحيين في ذلك الوقت - عادوا بانطباعات مشجعة؛ لأن النجاشي آوي من هاجر إليه من المسلمين وأمنهم، والمقوقس رد رداً جميلاً وبعث بالهدايا إلى النبي ﷺ، وهرقل أعرب عن تقديره لصفات النبي ﷺ، ورد رسله بالقول الحسن (٢).

٢- «والمجادلة» في اللسان العربي، وهي الكلمة التي استخدمها القرآن الكريم، قد تعني الحديث الشديد والمقارعة بالحجة، كما قد تعني الحوار الرقيق والحديث بالتي هي أحسن. وهي في الآيتين القرآنيتين المذكورتين سابقاً لا تحمل إلا على الحوار الرقيق، لكونها موصوفة ومشروطة «بالتى هي أحسن». وقد وردت كلمة (المجادلة) في موقف مشابه، واستخدمت مرادفة لكلمة (الحوار) التي تؤكد الرقة. قال

(١) آية سورة النحل محكمة غير منسوخة. والمقصود «بالذين ظلموا» في آية سورة العنكبوت أولئك الذين حاربوا المسلمين. انظر د. وهبة الزحيلي: التفسير للنهر ج ٢١ ص ٧. دار الفكر: بيروت.

(٢) أخبار هذه الرسائل أخرجه البخاري ومسلم وأصحاب السنن. وفصلتها كتب السيرة والتاريخ: طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٥٨. سيرة ابن كثير ج ٣ ص ٤٩٤. الطبري: تاريخ الملوك والرسائل ج ٣ ص ١٥٥٩، وانظر بحثنا: الدراسات المتعلقة برسائل النبي إلى ملوك عصره. مجلة الفكر الإسلامي لدار الإفتاء في بيروت ١٩٨١ م.

تعالى : ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (المجادلة: ١) .

٣- وفي حياة النبي ﷺ وقعت حوارات ثلاثة مع المسيحيين، أولها الحوار الذي جرى تحت إشراف النجاشي عظيم النصاري في الحبشة، بين المسلمين وعددهم ثمانون رجلاً، وقد مثلهم في الحديث جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي ﷺ ، وبين مندوبي قريش عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة. وقد قرأ جعفر في هذا الحوار قدراً من سورة مريم، مما كان له أجمل الأثر في نفس النجاشي والبطارقة. وانتهى الحوار بمنصرة النجاشي للمسلمين على وفد قريش، والإذن لهم بالإقامة في الحبشة ما شاءوا معززين مكرمين.

والحوار الثاني وقع في إيلياء (بيت المقدس) بعد انتصار هرقل على الفرس، وأدار هرقل الحوار ومعه ترجمانه وقساوسته، وتولى الحديث عن الإسلام دحية الكلبي الذي كان يحمل رسالة من رسول الله ﷺ إلى هرقل وانتهى الحوار

بقبول الرسالة التي أرسلها النبي ﷺ إليه. وأما الحوار الثالث فقد وقع في المدينة المنورة، واستمر بضعة أيام، إذ حضر وفد من نصاري نجران اليمن يرأسهم الأسقف أبو الحارث بن علقمة، ومعه حوالي أربعين من أتباعه، ونزلوا ضيوفاً على النبي ﷺ في مسجده. وأقاموا صلواتهم فيه بالتوجه إلى المشرق، وكانت قبة المسلمين قد تحددت تجاه مكة المكرمة . وجرى الحوار أولاً حول الدينين ، ثم ثانياً حول كيفية التعايش بين الإسلام والمسيحية. وقد كان الحوار جاداً. وتخللته مقاطعات وتأجيلات أحياناً . وانتهى بأن أعطاهم النبي ﷺ عهد الأمان والمسالمة، ومما ورد فيه «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد النبي رسول الله، للأسقف أبي الحارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وأهل بيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهنته، ولا يُغيّر حق من حقوقهم ولا سلطانهم ولا مما كانوا عليه، لهم على ذلك حوارُ الله تعالى ورسوله أبداً، ما نصحوا وأصلحوا غير مثقلين بظلم ولا

ظالمين»<sup>(١)</sup>.

٤- ويعتبر الحوار الثالث الذي ذكر  
ذا مدلول تشريعي في جواز الحوار بين  
المسلمين والمسيحيين بشرط أن يكون  
ذلك بالحسنى، وألا يفرض طرف رآيه  
على الطرف الآخر عملاً بالقاعدة  
القرآنية ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾  
(الكافرون: ٦)، وهي قاعدة محكمة  
غير منسوخة، وعامة غير مخصصة. وأن  
يشتمل الحوار على تنظيم أسلوب  
التعايش السلمي بين المسلمين  
والمسيحيين، عملاً بالقاعدة الإسلامية  
في هذا الشأن «لهم ما لنا وعليهم ما  
علينا»<sup>(٢)</sup>.

وقد اقتدى الخلفاء الراشدون ومن  
تبعهم بمضمون هذا الحوار ونتائجه،  
فتابعه الخليفة أبو بكر الصديق  
بوثيقة مشابهة لأهل نجران حينما احتيج  
إلى ذلك. وترسمه الخليفة عمر بن  
الخطاب في حوار مع رئيس أساقفة  
أورشليم صوفرونيوس سنة ١٥هـ التي  
اختتمت بصدور ما يسمى (العهد  
العُمري) وهي الوثيقة التي حكمت

العلاقات الودية بين المسلمين والمسيحيين  
في فلسطين إلى يومنا هذا.

٥- وقد استقر الحوار بين المسيحيين  
والمسلمين بعد ذلك بصور شتى:  
كالمراسلة، والمناقشة، والمناظرة في  
الجالس، وتأليف الكتب. ونما بذلك  
علما (الكلام) عند المسلمين،  
(واللاهوت) عند المسيحيين، نموًا  
ملحوظًا، ولم يوقف الحوار إلا الحروب  
الفرنجية التي سميت الحروب الصليبية، ثم  
حروب الاستعمار الغربي. إلى أن تجدد  
في العصر الحديث، ومع كل من الطرفين  
رصيد تاريخي وموضوعي كبير، يدعو  
إلى استمرار الحوار، وأخذ مسارات  
جديدة تناسب متطلبات الزمن  
ومقتضيات الحياة المشتركة، في عالم  
تقاربت أطرافه، وتداخلت مصالح  
البشر فيه بصورة غير مسبوقة.

ثانيًا: تجدد الحوار في العصر الحديث

بمبادرة مسيحية

١- تجدد الحوار، في العصر الحديث،  
بمبادرة من العالم المسيحي، إذ مهد له  
البابا يوحنا الثالث والعشرون، وقد كان

(١) انظر السيرة الشامية. طبعة دار الكتب العلمية. بيروت ١٩٩٣ ج ٦ ص ٤٢٠.

- ومحمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. طبعة دار الإرشاد بيروت ١٩٦٩م. الوثيقة ٩٥ ص ١٤٥.

- وانظر تفسير صفوة البيان للشيخ حسين مخلوف. طبعة الكويت ص ٨٢٨.

(٢) د. عبد الكريم زيدان: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام. بغداد ١٩٧٦م ص ٧٠، ٧٨، ٨١.

مشهوراً بروح وفاقية وانفتاح على الكنائس المسيحية غير الكاثوليكية، والأديان غير المسيحية، والأيدولوجيات الفكرية. وأقر الحوار المجمع الفاتيكاني الثاني، وأعلن عنه البابا التالي وهو بولس السادس في رسالته المعنونة Ecclesiam Suam بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٦٤م.

وتلا ذلك إنشاء دائرتين في العالم المسيحي مختصتين بتنظيم الحوار، هما (أمانة السر لشئون غير المسيحيين) في الفاتيكان، و (دائرة الحوار مع الشعوب ذوات العقائد الحية والأيدولوجيات) في مقر مجمع الكنائس العالمية في جنيف، وهو يضم إليه الكنائس غير الكاثوليكية .

٢- وجاء أول تجاوب لنداء الحوار، من الجانب الإسلامي، فيما أعلم، من علماء لبنان وسوريا، وأذكر منهم بوجه خاص المرحوم الشيخ الدكتور مصطفى السباعي، والمرحوم الشيخ مصطفى الزرقاء، إذ أتيح لي الحديث معهما في منتجع بجمدون / لبنان، قبيل الحوار الذي عقد في برمانا / لبنان في أوائل

السبعينات .

كما تجاوبت دولة إسلامية معروفة بالمحافظة ، وهي المملكة العربية السعودية، بتشكيل وفد من رابطة العالم الإسلامي ، برئاسة المرحوم الشيخ محمد علي الحركان، وفي عضويته الدكتور معروف الدواليبي ، أحد رؤساء الوزارة السورية السابقين وصدرت عن لقاءات هذا الوفد مع نظرائه المسيحيين وثائق مطبوعة<sup>(١)</sup> .

ومن الحوارات الملحوظة تاريخياً، لكبر حجم المشاركة فيها، حوار طرابلس الغرب في فبراير ١٩٧٦م ، الذي شارك فيه ما لا يقل عن خمسمائة عالم ومفكر وإعلامي ومهتم من العالمين، تصدرهم خمسة وعشرون من الجانبين لتقديم أبحاث معدة في موضوعات محددة، وشارك الباقون في النقاش. واستمر هذا الحوار حوالي خمسة أيام. وصدرت عنه وثيقة محفوظة لدى الجهات المعنية بالمتابعة . وترأس هذا اللقاء من الجانب المسيحي الكاردينال بينادوللي . ومن الجانب الإسلامي الدكتور محمد الشريف الأمين العام

(١) انظر كتاب (ندوات علمية في الرياض وباريس والفاتيكان وجنيف) بالعربية والإنجليزية والفرنسية. دار الكتاب اللبناني : بيروت ١٩٧٣م.

لجمعية الدعوة الإسلامية في الجماهيرية الليبية وحضر إحدى جلسات هذا اللقاء واشترك في مناقشاته الزعيم الليبي معمر القذافي<sup>(١)</sup>.

وتلت ذلك حوارات عديدة في مدن مختلفة من العالم، نذكر منها برمانا / لبنان، وجنيف، وليجون / غانا، وهونج كونج، وتونس، وقرطبة، والقاهرة، والبحرين، وأبو ظبي، والرباط، ولندن، وموسكو، وروما، وغيرها. ولوحظ أن الدعوة إلى هذه اللقاءات جاءت من العالمين الإسلامي والمسيحي، ونظمتها كنائس وجامعات ومنظمات إسلامية ومسيحية متعددة. ولا تتجاوز الحقيقة إذا وصفنا الأربعين سنة الأخيرة، بأنها سنوات الحوار الإسلامي المسيحي، المتعدد الأماكن والموضوعات وجهات الدعوة والمشاركة<sup>(٢)</sup>.

٣- والمتتبع لهذه الحوارات خلال الأربعين سنة الماضية، الدارس لمجرياتهما ووثائقهما، لابد أن يسجل أنها حققت بعض الإنجازات الإيجابية، وأنها أيضاً لم تسلم من بعض جوانب القصور والسلبيات، وسوف أحاول أولاً أن

أشير بإجمال إلى ما بدا لي من الإيجابيات والسلبيات، ثم أتبع ذلك بعرض تحليلي لصنوف الحوارات التي جرت لإمكان التوصل إلى تقييم شامل يعين على حسن التخطيط للمستقبل.

٤- وفي مجال رصد الإنجازات الإيجابية نذكر منها أربعة:

أولها: كسر الحاجز النفسي بين العالمين الإسلامي والمسيحي الغربي، وتهيؤ كل من الطرفين للحديث مع الطرف الآخر، في إطار احترام دينه، وهويته، وحضارته. ولم يكن ذلك الإنجاز هيناً بعد قرون من الصراعات العسكرية والسياسية والمخافة الدينية والحضارية. كما أنه لم يأت فجأة ومن خواء، فقد سبقته سلسلة من حركات الاستقلال الوطني، وبروز مفهوم الدولة الحديثة ذات السيادة. وتقبل التشريعات الدولية تحت مسمى القانون الدولي، وظهور المنظمات الدولية، وإعلان حقوق الإنسان، وتبادل الدراسات الحضارية والدينية المقارنة، وإحساس البشرية في كافة أقطارها إلى حاجتها إلى التقارب والتعاون. ثم جاء الحوار الديني

(١) قدم كاتب هذه الورقة بحثاً في هذا الحوار بعنوان (كيف نعمل على إزالة الأحكام المسبقة الخاطئة وضعف الثقة التي لا زالت تفرق بيننا)، مطبعة الظواهر، أبو ظبي ١٩٧٧ م.

(٢) انظر تقارير مجمع الكنائس العالمية في جنيف. تحرير الدكتور S.J. Samartha. بعنوان Living Faiths ابتداء من سنة ١٩٧١ م.

وتلاه مؤخرًا الحوار الحضاري وهو صنوه - فتحطمت الفواصل، وجلس جميع الفرقاء حول مائدة واحدة للتفاهم والتباحث والحوار، ومن ثم تأكدت ثقافة الحوار وتويعت إلى الآن.

والثاني: هو تبادل التعريف والتعارف، ولو بصورة إجمالية ومبتسرة بحكم البداية في ذلك . فقد أتيح لكل طرف أن يبين قدرًا مما لديه، وأن يرد على الاستفسارات التي وجهت إليه. ولو تصفحنا مثلاً كتاب (ندوات علمية) الذي صدر عن فريق الحوار السعودي سنة ١٩٧٣م نجد أنه بين جوانب من أحكام الشريعة الإسلامية وخاصة ما يتعلق بحقوق الإنسان، وحقوق المرأة، وأحكام الميراث، والقانون الجنائي في الإسلام وما يتضمنه حول موضوع الحدود والعقوبات، ومفهوم السلام من منظور إسلامي. ولو راجعنا ما ذكره الفريق المسيحي في حوار طرابلس ١٩٧٦م، نجد أنه بين أمورًا من العقيدة المسيحية وتفسيرها للتوحيد والتثليث، وتقديرها لتعاليم العبادات والأخلاق في الإسلام، وبيان دور المسيحية في العدالة الاجتماعية

والتنمية وترقي الشعوب<sup>(١)</sup>.  
والثالث: هو إنشاء علاقات فردية وصدقات بين رجالات العالمين وعلمائهما، مما مهّد للقاءات وزيارات ومراسلات، وإيجاد فرص عديدة لتبادل الآراء حول موضوعات تهم العالمين والبشرية بصفة عامة. وقد أتيح لي، بحكم عملي الوظيفي، أن أطلع وأعلم عن بعض المراسلات بين كل من صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وسمو الشيخ حمد بن عيسى الخليفة ولي عهد البحرين (صاحب الجلالة ملك البحرين حاليًا) وبين صاحب السمو الملكي الأمير تشارلز ولي عهد المملكة المتحدة، حول أمور ثقافية وحضارية وحوارية تهم العالمين. منها تشجيع الدراسات الإسلامية في الجامعات البريطانية، والعناية بأبحاث الطب التقليدي وطب الأعشاب، وحماية البيئة الطبيعية. وقد شارك الأمير تشارلز في حوار إسلامي مسيحي اشترك فيه علماء إماراتيون وبريطانيون في مدينة أبو ظبي بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٩٩م، وألقى فيه كلمة وفاقية لا تقل أهمية عن

(١) انظر (رسالة جامعة لقداسة البابا بولس السادس في تقدم الشعوب وارتقائها). المطبعة البولسية، جونية. لبنان. سنة ١٩٧٦م. وقد كانت هذه الرسالة من وثائق مؤتمر الحوار المذكور.

حديثه المشهور عن الإسلام في مركز الدراسات الإسلامية في أكسفورد سنة ١٩٩٣م.

وثمة إنجاز رابع: جاء ثمة للحوار الإسلامي المسيحي، وهو تعاون العلماء المسلمين والمسيحيين في الحفاظ على القيم الأخلاقية التي يدعو إليها الدينان، في مواجهة الآراء والتشريعات والتوجهات المخالفة. وقد اتضح هذا بوجه خاص في المؤتمر العالمي للسكان الذي عقد في القاهرة في سنة ٢٠٠٠م، وتضمنت وثائقه التحضيرية رغبات لإقرار الإجهاض، والشذوذ الجنسي المثلي، والاستنساخ البشري، والتوسع في أبحاث الهندسة الوراثية على مستوى البشر، وغير ذلك. وقد ووجه الداعون إلى هذه الآراء بموقف موحد معارض من علماء الإسلام والمسيحية، ما كان له أن يحدث لولا التفاهم المتبادل بسبب الحوار والعلاقات الحميدة بين هؤلاء العلماء.

٥- وللحوار، بجوار الإنجازات التي ذكرت، سلبات عامة نورد منها ثلاثاً:  
فأولاهـا: فقدان الحوار للتعريف والتوصيف، الذي يحدد طبيعته، والهدف المقصود منه، والضوابط التي تلزم

مراعاتها في ممارسته، والمحاذير التي يتحتم تجنبها، وقد حاول المتحاورون في طرابلس الغرب سنة ١٩٧٦م أن يستدركوا هذا النقص، واتفقوا على التعريف الآتي «المقصود من الحوار أن يتبادل المتحاورون من أهل الدينين: المعلومات، والأفكار، والحقائق، التي تزيد من معرفة كل فريق بدين الفريق الآخر، وتاريخه، وحضارته، وسائر أمره، توضيحاً لما قد يكون بينهما من مواطن التلاقي أو الاختلاف، بطريقة مخلصة وموضوعية، يحتفظ فيها كل طرف بمعتقداته والتزاماته ومواقفه، في جو من الود والاهتمام المتبادل»، ومع أن هذا التعريف قد حدد بعض التوجهات والضوابط وبين بعض المحاذير، فإنه لم يكن كافياً. والأهم من التوصل إلى التعريف الشامل المرضي، هو أن يكون ذلك التعريف موضع اتفاق والتزام من المشتغلين بالحوار من العالمين، حتى نجنب الحوار سوء الاستغلال أو الانحراف عن مقصوده، أو الخوض في أبحاث ليست من طبيعته، أو ممارسته من قبل غير المتخصصين في موضوعاته. وقد أحسنت (أمانة سر الحوار) في الفاتيكان بإصدار كتيب يضم إرشادات



لكيفية الحوار وآدابه، تحقق قدرًا جيدًا مما أشرنا إليه، لو تم الاطلاع عليها والالتزام بها<sup>(١)</sup>.

والسلبية الثانية: هي عدم التكافؤ بين المتحاورين من العالمين من حيث التنظيم والتمثيل. فقد لوحظ أن المتحاورين من العالم المسيحي يأتون مستندين إلى مرجعيات محددة، مثل (أمانة السر لشؤون غير المسيحيين) في الكنيسة الكاثوليكية، و(دائرة الحوار مع الشعوب ذوات العقائد الحية والإيديولوجيات) في مجمع الكنائس العالمية. وقد ساعدت هذه المرجعيات المحددة في تزويد المتحاورين بالخلفيات العلمية اللازمة، والسكرتاريات المنظمة التي تحتفظ بالمحاضر والوثائق والقرارات والتوصيات، وآليات المتابعة والمراجعة، فضلاً عن إضفاء الصفة التمثيلية للمتحاورين، من حيث كونهم مفوضين للتعبير عن آراء هذه المرجعيات.

وفي مقابل هذا الإجراء الصحيح من قبل العالم المسيحي الذي انبثقت حركة الحوار الحديث منه، فإن المتحاورين من العالم الإسلامي يأتون فرادى، لا يمثلون إلا أنفسهم، وقد لا يتكرر مشاركة

المحاور أكثر من مرة. وإذا أتوا ممثلين لمنظمات أو جامعات فليس لجهات الإيفاد صفة المرجعيات الدائمة المزودة بالصلاحيات والتفويض والتسهيلات للبحث والتوثيق والمتابعة. ولا يعني هذا أن مشاركة العلماء بصفاتهم الفردية مستنكرة ولكن المشاركة باسم المرجعيات المفوضة أولى وأحسن تنظيمًا وتمثيلًا، والجهات المستحقة لصفة التمثيل في العالم الإسلامي هي المشيخات الرئيسة وفي مقدمتها مشيخة الأزهر الشريف في مصر، ودور الإفتاء، وجامع الفقه والبحوث الإسلامية، والجامعات الإسلامية، والمنظمات الإسلامية الكبرى كمنظمة المؤتمر الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وجمعية الدعوة الإسلامية في طرابلس الغرب، وأشباهاها، وقد تنبّهت مشيخة الأزهر الشريف في مصر مؤخراً إلى هذا الملحظ، فخصصت للحوار الإسلامي المسيحي إدارة خاصة به. وهي بداية حسنة نأمل أن تحاذيها ترتيبات مماثلة في الجهات المشابهة، وأن يقوم بينها جميعاً تنسيق مناسب.

والسلبية الثالثة: تتعلق بموضوعات

التحاور. فقد لوحظ أن الحوارات الأولى قد اتجهت نحو العموميات ، سعيًا وراء التوافق، وحرصًا على تأكيد (ثقافة الحوار) في حد ذاتها ، ولو لم يتطرق البحث بين المتحاورين إلى موضوعات أكثر تحديدًا أو تخصيصًا . أما وقد تأكدت هذه الثقافة فالمفروض أن يتحاور العالمان فيما يمكن أن يجمع بينهما، وفي حل الخلافات الموروثة عن الماضي، وفي مناصرة قضايا الإيمان في مواجهة الإلحاد، والفضيلة في مواجهة التحلل الخلقي، والعدالة في مواجهة الظلم الاجتماعي وغمط حقوق الفقراء والضعفاء، والسمو الروحي والإنساني في مواجهة المادية والجشع والفساد، وإقرار حقوق البشر والشعوب في العيش الحر في مواجهة الاستعمار والاستبداد والغطرسة العسكرية ، وتأخي جميع البشر في مواجهة التطهير العرقي والاستيطان القهري في أراضي الآخرين، وإيثار السلم وتواصل الحضارات على التسليح والحروب والإرهاب والصدام الحضاري المتعجرف.

ولكي يتحقق التخطيط الصحيح لموضوعات الحوار لابد من لقاءات

تنسيقية بين المعنيين بالحوارات العالمين، والحرص على أن تدرس الموضوعات المتفق عليها بصورة موضوعية معمقة. يمكن بعد ذلك جمعها وتعيمها وإذاعتها. فبهذا يتحقق لحركة الحوار ما تريده من جمع البشر حول مفاهيم الوفاق والتقارب والتفاهم، ولكل بعد ذلك حقه في الالتزام بخصوصياته العقديّة والحضارية .

### ثالثاً: صنوف من الحوار، وتقييمها

١- بعد ذكر تاريخ الحوار قديماً، وحديثاً، وبيان ما للحوارات المعاصرة من إيجابيات وسلبيات بوجه عام ومجمل، لابد من استعراض صنوف الحوارات التي تمت خلال الأربعين سنة الماضية ومحاولة تقييمها بصورة موضوعية، تمهيداً لبيان ما نرتجيه لمستقبل الحوار ونحن على عتبة القرن الحادي والعشرين. ومستندي في حصر هذه الحوارات واستعراضها هو معاصرتي لحركة الحوار منذ بداياتها. وإطلاعي على قدر غير قليل من وثائقها المحفوظة في مكبات الفاتيكان وجمع الكنائس العالمية وغيرها، ومشاركتي الشخصية في عدد منها، مع المتابعة المستمرة لهذا الموضوع الهام الذي يعتبر محوراً مفصلياً

في العلاقات الدينية والحضارية والإنسانية بين الإسلام والغرب.

وللتيسير على المطلع، أحصر الاستعراض في سبعة صنوف من هذه الحوارات، وعناوينها هي:

- الحوار التبشيري .

- الحوار المسيس .

- الحوار الأكاديمي .

- الحوار الشبابي .

- الحوار الموسع .

- الحوار بالمناظرة .

- الحوار المحلي للعيش المشترك .

وأضيف إليها حواراً ثامناً، ليس بهنـا ولا هناك ولكنه متكرر ولنسمه: الحوار المتزل .

## ٢- الحوار التبشيري :

١- من المعلوم أن الدينين الإسلامي والمسيحي دينان تبشيريان ويستخدم الإسلام لفظي (الدعوة) و (التبليغ) ، بينما تستخدم المسيحية لفظي (التبشير) و (البشارة) . وليس بمستنكر إذن على الداعية المسلم أو المبشر المسيحي أن يقوم بما فرضه عليهما إيمانها من تبليغ الرسالة .

لكن التبشير والتبليغ غير الحوار، أو غير ما ينبغي أن يفهم من الحوار . وقد قطعت المسيحية فترة غير قصيرة بالانتقال من مفهوم التبشير إلى مفهوم الحوار، عند التعامل مع المسلمين بصورة خاصة . فبعد مؤتمرات أدنبرة سنة ١٩٠٢م ، والقدس سنة ١٩٢٨م ، وتاميرام الهند سنة ١٩٣٨م ، وقد كان الحديث فيها تبشيراً بحثاً، وبعد اجتماعات أبسالأ سنة ١٩٨٦م ، وزبورخ سنة ١٩٧٠م ، وأديس أبابا سنة ١٩٧١م ، وكان الحديث فيها شبه حوارى ثم حوارياً بحثاً . قررت الكنائس المسيحية أن يكون دخولها في الحوارات غير تبشيري، وهذا ما نص عليه صراحة كتاب الإرشادات للتحاور الصادر سنة ١٩٧١م<sup>(١)</sup> .

لكن هذا القرار لا يغير توجهات المتحاورين المسيحيين في يوم وليلة، خاصة وأن بعضهم قد ألف كتباً، يدمغ فيها الحوار المجرد عن التبشير بأنه خيانة للدين المسيحي والسيد المسيح<sup>(٢)</sup> . ولذلك فلإن بعض الحوارات بقصد أو بغير قصد نحت منحى تبشيراً لا يجوز

الفريق، وإما الحديث المبطن وفقاً لنظرية الكاردينال Raymond Pannikar في أن المسيح يعمل من داخل الأديان الأخرى، وحسبُ المحاور أن يلقي بالفكرة المسيحية ويزكها تعمل من داخل المحاورين المواجهين له، وإما تقديم الاقتراحات التليفقية. وكل هذه الصور مرفوضة .

ج - والمقصود بالتلفيق Syncretism هو جمع عناصر فكرية مسيحية مع عناصر أخرى إسلامية، كاندي اقتراح في أحد الحوارات أن نبدأ جلساتنا بقراءة أدعية مختلطة مأخوذة من القرآن الكريم ومزامير داود، أو الذي اقترح سبع شهادات بعضها إسلامي مثل: لا إله إلا الله، ومحمد رسول الله . وبعضها مسيحي مثل: المسيح روح الله وكلمة الله. وقد صاغ صاحب الاقتراح بعبارة مقبولة للطرفين إذا أخذت كل شهادة على حدة. ولكن قبول الاقتراح كان يعني العدول عن الشهادة الإسلامية المقصورة على عنصرين اثنين ( لا إله إلا الله . محمد رسول الله) . إلى شهادة أخرى ليست من نصوص الإسلام ولا نصوص المسيحية .

د - وأخيراً، فإن كل حوار حول

حتى على السذج من المسلمين المعروفين بتيقظهم إزاء هذا الموضوع وتحسسهم منه .

أما الموقف الإسلامي من الدعوة والتبليغ فهو أكثر وضوحاً، خاصة وأن المسلمين لم يكونوا البادئين بفكرة الحوار المعاصرة، فبعد كثيراً أن يُلبسوها ثوب الدعوة والتبليغ وهم لم يعرفوا بعد مضمونها الوافد من العالم المسيحي. ومع ذلك، فالدعوة في دم الداعية المسلم، كما أن نزعة التبشير في دم المبشر المسيحي، ومتى ما انخرط الحوار نحو التبشير ولو المبطن ، فإن الداعية المسلم يرد بنفس المكيال .

ب - والذي لاحظته أن الحوار التبشيري من حيث الممارسة المسيحية يأخذ إحدى صور ثلاث: إما الحديث الصريح عن المسيحية وكأنه دعوة إليها، وقد صنع هذا محاور في حوار طرابلس الغرب سنة ١٩٦٧م، وكان موضع استغرابنا وجود هذا المحاور ضمن فريق العدل فقد كان الوحيد الأسمر بين فريق البيض، والوحيد الذي كان مسلماً ثم تنصر، ويحمل اسم (السنوسي) وهو اسم إسلامي شهير في الجماهيرية الليبية مما جعلنا نتساءل لماذا اختير ضمن

المتواجهين السوفيتي أو الأمريكي ، لاستصدار بيان له مقصود سياسي - أمر غير مقبول . ولو تنادى المتحاورون من تلقاء أنفسهم لبيان حكم الدين في الحرب والتسلح واجتمعوا في مكان محاذ لكان ذلك من أحسن الممارسات . ومثل هذا يقال عن حوار سانت كاترين سنة ١٩٨٤م ، وسنة ١٩٨٦م وكان المقصود منهما الدعوة إلى التطبيع بين العرب وإسرائيل بدعوى وحدة الأديان الإبراهيمية ، وحوار روما بعد حوادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م وكان المقصود منه التعليق الديني على تلك الحوادث المؤسفة .

ب - وأما دخول رجال الاقتصاد فقد لا حظته في لقاء (الإسلام والغرب) في جنيف سنة ١٩٨٧م ، برئاسة الدكتور أحمد فتحي سرور واللورد كارادون . إذ زاحم المتحاورين من رجال الكنيسة والإسلام جمع من رجال الأعمال لتسويق مشروعاتهم . ولما اتفق على تجنب نشاطات مؤسسة (الإسلام والغرب) أمور السياسة والتجارة، اختفى السادة الاقتصاديون.

العقائد الإسلامية أو المسيحية لا بد وأن يتلبس بالتبشير أو التبليغ . وقد كتبت مرة : إذا كان المقصود هو الحوار فلا داعي لذلك . وإذا كان المقصود التبشير أو البشارة فلا بأس ولكن كونوا صرحاء ، فأنتم مبشرون مسيحيون ، ونحن دعاة مسلمون ، ولكن لا تسموا ذلك حواراً<sup>(١)</sup> .

## ٢- الحوار المسيحي :

أ - يبدو أن رجال السياسة ، ومعهم أحياناً رجال الاقتصاد ، عز عليهم أن يروا تجمعات إسلامية مسيحية لم يسبق لها مثال في العصر الحديث ، فجاءوا ببضاعتهم إليها : السياسي بقضاياءه ، والاقتصادي بمشروعاته وبضائعته .

ومن أمثلة الحوار المسيحي حوار موسكو سنة ١٩٧٨م ، وجاءت الدعوة إليه من الاتحاد السوفيتي القديم الذي كان يقلقه سباق التسلح النووي ، فجمع ممثلي الأديان في هذا الحوار ليستنكروا ذلك السباق وينادوا بالسلام . وهو مقصود لا اعتراض عليه من الناحية الدينية الإسلامية والمسيحية ، ولكن حشد رجال الدين في أحد المعسكرين

(١) عز الدين إبراهيم : الحوار الإسلامي المسيحي : رؤية إسلامية ، و ضمن كتاب : حوار الحضارات ، تحرير د. يوسف الحسن . دار الخليج . الشارقة سنة ١٩٩٧ .

وحرى بالحوار الإسلامي ألا يسمح لنفسه بأن يكون مطية لرجال السياسة أو رجال المال، ولو أريد التعامل معهم وهو أمر مفيد، فينبغي أن يكون وفقاً لرسالة الدين، والأجندة الدينية .

### ٣- الحوار الأكاديمي:

أ- كل الحوارات يحییها الأكاديميون، ولكن المقصود بهذا الوصف من الحوار، أن تكون الموضوعات المدروسة ذات طابع فكري أو علمي أو تنموي، ويكون المطلوب بيان موقف الدينين منها. ومن أوضح الأمثلة لذلك حوار تونس سنة ١٩٧٤م، بدعوة من مركز الأبحاث في تونس، فقد تحاور المشاركون فيه حول موقف الدينين من: الحضارة - التنمية - التفجر السكاني - التكنولوجيا - العنف - التقدم . ولاشك أن هذا الحوار نافع، ويين للمتابعين أن الأديان جاءت لتنظيم حيوات الناس، وليست مقصورة على تهيئتهم للدار الآخرة .

ب- وما يلحق بالحوار الأكاديمي ، أن يُختار للحوار موضوع ديني بحت، ولكنه يُدرس من منطلق أكاديمي وتحقيقي وتحليلي. مثال ذلك حوار قرطبة في مارس سنة ١٩٧٧م، وقد دار

حول دراسة شخصية الرسول ﷺ ، وشخصية السيد المسيح عليه السلام. ولا بد أنه قد كان للدارسين إطلاالات كلامية أو لاهوتية عند الحديث عن هاتين الشخصيتين الفذتين، ولكن المنهج كان أكاديمياً ، كما أن المشاركين كانوا مؤهلين لذلك. واستطراداً من هذا، يمكن القول بإمكان عقد حوارات حول موضوعات دينية بحتة، بقصد تبادل المعلومات لا التبشير أو التبليغ، على أن تقصر المشاركة فيها على المتخصصين في موضوعاتها .

### ٤- الحوار الشبابي:

أ- هذا نوع من الحوار، عدل فيه عن الشيوخ والأساتذة، إلى الناشئين والشباب. وغالباً ما يتم بمشاركة فتيان وفتيات، وينظم على هيئة مخيم عمل لخدمة المجتمع. ومير الداعين إلى هذا الحوار هو أن المستقبل للشباب فلندربهم من الآن على التعايش المشترك وألفة التقارب بين أتباع الدينين .

ومن الأمثلة لذلك مخيمات الشباب المسلم والمسيحي في لبنان، وهي سنوية، وتلقى فيها محاضرات من أساتذة متخصصين في الدينين والحوار.

وقد اعترض كثيرون، ولهم الحق في

## ٥- الحوار الموسع:

أ - حينما انطلقت الدعوة إلى الحوار، من مصدرها المسيحي، لم يكن المقصود منها الاقتصار على الحوار مع الإسلام، وإنما مع كافة الأديان والأيدولوجيات؛ ولذلك كان طبيعيًا من وجهة نظر مصدر المسيرة، أن تعقد حوارات موسعة تشمل ممثلين عن أديان وحضارات وأيدولوجيات. ومن أمثلة هذه الحوارات: حوار عجلتون / لبنان في مارس سنة ١٩٧٠م، وقد اشترك فيه مسيحيون، ومسلمون، وهندوس، وبوذيون، وحوار كولومبير/ سيرلانكا في أبريل سنة ١٩٧٤م، وقد اشترك فيه ممثلون من أديان أربعة مثل سابقه بالإضافة إلى ممثلين عن اليهود.

ب - ونية الداعين إلى هذه الحوارات الموسعة واضحة، وهي غالبًا تأكيد التراضي بالعيش المشترك في عالم متعدد الأديان. وهو أمر لا يستنكره الإسلام، وقد سبقت الإشارة إلى القاعدة القرآنية للتعايش الديني، وهي قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ وقد بينا أن الآية قد نزلت بشأن دين قريش، ولكن المفسرين والأصوليين يعممون الحكم بها ولا يقصرونه على خصوص السبب،

ذلك، على هذا النوع من الحوار، لأنه يُدخل الشباب في أبحاث لم ينضجوا بعد النضج الكافي للتعامل الآمن معها. وغالبًا ما تكون نتيجة هذا الحوار عكس المقصود منه، لأنه يؤدي إلى تشكك الشباب في معتقداتهم وممارستهم، لأنهم يستمعون إلى مباحث لا يتسع الوقت لتحليلتها لهم، فتبقى الشبه التي تثيرها الأسئلة، وتغيب الأجوبة المطمئنة التي لا يتسع الوقت لاستيفائها، خاصة وأن المتحدث في كل مرة يكون ممثلًا لأفكار دينه، ولا يوجد معه من هو في مستواه من أتباع الدين الآخر. ثم إن إدارة المخيمات الشبابية المختلطة صعبة، وتحتاج إلى رعاية كاملة والتزام دقيق بالأداب والتقاليد الدينية الاجتماعية للدينين.

ب - على أنه في الإمكان تطوير هذه المخيمات، بجعلها غير مختلطة، وبالإشراف الدقيق الأمين على المباحث التي تدرس فيها، بحيث يجري التركيز فيها على كيفية التعايش المشترك، والتعاون في شؤون الحياة، والتحلي بالقيم ومكارم الأخلاق التي يحث عليها الدينان.

١٩٩٤م لأنه يتضمن نصوصاً عن خطيئة اليهود<sup>(١)</sup>.

إلا إن هذين الأمرين دينيان فلا يحق لنا التوقف عندهما . ولكن الذي نتأسف له هو التفسيرات التي تعطيها بعض الكنائس الغربية لمفهوم (أرض فلسطين) واعتبارها (أرض إسرائيل) بتفسير لاهوتي<sup>(٢)</sup> ، ثم الحديث المعلن مؤخراً عن عودة السيد المسيح، إلى أرض إسرائيل الحالية التي يجب أن تحمي من الأعداء<sup>(٣)</sup> . ولذلك فلإن الحوار الموسع الذي يشمل اليهود يحتاج إلى احتياط بالغ حتى لا تتورط الحوارات فيما ينبغي تحاشيه .

#### ٦- الحوار بالمناظرة:

أ- أقرب مثال للحوار بالمناظرة، مناظرات الشيخ أحمد ديدات عافاه الله مع عدد من مشاهير رجال الدين المسيحيين، ومنهم القس جيمي سواهارت في أمريكا، والتي عرضها تلفزيون الإمارات. ويتم ترتيب هذه المناظرات بين المتناظرين بتحديد الموضوع، ودعوة جمهور غفير من

وهو الحق. ومعنى التعايش الديني في المفهوم الإسلامي هو الاعتراف بوجود الدين الآخر وليس الاعتراف بصحته. وهو موقف عادل ومخلص وصحي .

لكن الاعتراض الذي يستظهره المسلم، ولو جزئياً، مبني على أن التوسع يؤدي إلى تخفيف التركيز؛ لأن البحث عن قواسم مشتركة بين خمسة أصعب بكثير من البحث عنها بين اثنين بينهما صلات وثيقة. ثم إن للمسلمين اهتماماً خاصاً بالمسيحيين الذين هم أقرب إليهم مودة . وهم يعيشونهم معايشة وثيقة داخل بعض البلاد العربية مثل لبنان ومصر، وفي المهاجر الغربية .

ج- كما يشعر المسلمون، بل والمسيحيون العرب أيضاً، أن موقف المسيحية الغربية من اليهود قد اعتراه كثير من الاستسلام غير المتر . وقد بدأ ذلك في الجمع الفاتيكاني الثاني سنة ١٩٦٢م حينما أعلنت الكنيسة براءة اليهود من خطيئة الصلب، وحينما أمرت بعد ذلك بسحب أحد الأناجيل القانونية من فرنسا في مايو سنة

(١) انظر جريدة الجارديان البريطانية بتاريخ ١٩ / ٣ / ١٩٩٥ ص ١٥ . والإنجيل المشار إليه Bible Of Christian Communities .

(٢) الحلقة الاستشارية لجمع الكنائس العالمية في كارتاجني . يناير ١٩٧٤ بعنوان Biblical Interpretation and its bearing on Christian Attitudes regarding the situation in the Middle East.

(٣) انظر مثلاً : Godfrey Wanjamu : Christ Second Coming is near Nairobi. p. 11



المستمعين ، وتؤدي بأسلوب المناظرات المعروف، والذي يحرص فيه كل متناظر على هزيمة الآخر، وكأنهما خصمان في حلبة أو مسابقة. وعادة ما يتابعها جمهور الحاضرين بحماس شديد ، بعد أن ينقسموا فريقين، ويناصر كل فريق من يمثل دينه. وقد تتضمن المناظرة بيانات وحقائق ومعلومات يستفيد منها المتابعون، ولكنها توجج الخصومة بين المشاركين جميعاً، ولا يمكن اعتبارها حواراً بالتي هي أحسن .

ب - ومناظرات الشيخ ديدات هي متابعة للمناظرات التي وقعت في الهند بين المستشرق الأمريكي الكاثوليكي ثم البروتستانتي الدكتور فندر وبين الشيخ رحمة الله الهندي في أبريل سنة ١٨٥٤م، ومن آثارها كتاب (إظهار الحق) للشيخ رحمة الله، وكتاب (ميزان الحق) للدكتور فندر. ويبدو أن المناظرات كانت الأسلوب المختار للمبشرين المسيحيين، ومنهم القسيس كمي، والقسيس وفرنج<sup>(١)</sup>. وقد كان الدكتور فندر ذا نزعة تهجمية حتى قيل إنه كل يحاضر على سلم المسجد الجامع في دلهي.

ج - ودونما تعليق على المناظرات التي حصلت قديماً وحديثاً، فإن لكل مناظرة ظروفها ودوافعها ، فإننا لا نظن أن (المناظرة) هي الأسلوب المناسب للتفاهم بين المسلمين والمسيحيين، ولا يمكن الإقرار بها أسلوباً من أساليب الحوار. بل ولا يجوز أن ندخل سيكولوجية المناظرة ولو بصورة ضمنية في لقاءات الحوار الإسلامي المسيحي لمخالفة ذلك للشرط القرآني ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .

#### ٧- الحوار المحلي للعيش المشترك:

أ - تتجه معظم الحوارات نحو العلاقات بين الدينين والعالمين الإسلامي والمسيحي بصفة عامة، دون تركيز على أحوال التعايش بين المسلمين والمسيحيين في قطر معين أو منطقة جغرافية معينة، ولذلك أخذت الحوارات طابع التعميم، والمفروض أن يكون مع هذا التعميم، وهو ضروري، حوارات تخصصية محلية تعنى بمحصر الإشكالات التي قد تكون موجودة ، وتقترح الحلول الناجعة والفورية لمواجهتها. وترداد أهمية التخصيص في البلاد التي تعزيبها مصادمات دموية مؤسفة كما حصل في

(١) رحمة الله بن خليل الرحمن الكبير اتوي : إظهار الحق . تحقيق د. محمد أحمد ملكاوي . طبعة الرياض ١٩٨٩ ج ١ ص ١٧ .

لبنان منذ عشرين سنة، بما بلغ مستوى الحرب الأهلية لمدة ست عشرة سنة، وكما حصل في صعيد مصر منذ فترة، وكما يحصل الآن في بعض الجزر الإندونيسية.

ب - ولعل أقدم حوار على المستوى المحلي مكاناً وموضوعاً، الحوار الذي نظمته الفاتيكان في فيينا في نوفمبر ١٩٧٦م، وتخصص في دراسة (أحوال المهاجرين المسلمين في أوروبا)، فقد بلغ حجم الهجرة الإسلامية إلى أوروبا مستوى عالياً، ورافقته مشكلات متعددة بعضها إسلامي إسلامي وبعضها الآخر إسلامي مسيحي، مع تعدد في المؤثرات الدينية والحضارية والمعيشية.

ج - لكن الذي يسترعي الانتباه هو قيام مؤسسة حوارية في الشرق الأوسط، متمركزة بين لبنان، ومصر، وقبرص، تسمى (الفريق العربي للحوار الإسلامي المسيحي) وكان تأسيسها في سنة ١٩٩٥م وتسجيلها القانوني في لبنان سنة ٢٠٠٢م وهي معنية بشئون الحوار الإسلامي المسيحي بصفة عامة، ولكنها متخصصة في شئونه داخل البلاد العربية والشرق الأوسط، ومن أبرز

مؤسسي هذا الفريق القس الدكتور رياض جرجور، وقد نظمت هذه المؤسسة حوارات ذات طابع محلي منها: حوار «مسلمون ومسيحيون معاً من أجل القدس» في بيروت بتاريخ يونية ١٩٩٦، وحوار «حول المواطنة والديمقراطية وحقوق الإنسان» في القاهرة بتاريخ أكتوبر ١٩٩٧، وحوار «العيش المشترك والتوترات الدينية في بعض البلدان العربية» في بيروت بتاريخ مارس ٢٠٠٠م كما أصدرت المؤسسة وثيقة باسم «الحوار والعيش الواحد: ميثاق عربي إسلامي».

ولاشك أن قيام هذه المؤسسة التي تركز على الشؤون المحلية بين الإسلام والمسيحية في البلاد العربية والشرق الأوسط، يعتبر نقلة نوعية في منهج الحوار الإسلامي المسيحي، بتوجيه العناية إلى «المحليات» بدلاً من التركيز المطلق على العموميات. وسوف يحمل هذا التوجه على تحسس مشاعر الأقباط في مصر والموارنة وسائر الكنائس المسيحية في لبنان نحو إخوانهم المسلمين، وبالعكس. وهي مشاعر يستحسن إبرازها علناً ومعالجتها بدلاً من التكتّم

يؤدي إلى التكرار واجترار الماضي دون إضافة نفع جديد . وقد يؤدي إلى ملل المتابعين للحوار منه ، وانفضاضهم عنه . وقد قال لي مرة أحد المسؤولين في دولة عربية : وماذا أفدنا من حواراتكم؟ والمسئول محق في تشككه في جدوى الحوارات التي لا تعالج إشكالات ، أو تقترح جديداً نافعاً ، أو تنجح في تقريب المتباعدين ، ورد كيد الهدامين . ولكن لا مشاحة في نجاح بعض الحوارات فيما نصبت نفسها لتحقيقه ، وقد ذكرنا ذلك بإجمال وتفصيل فيما مضى . أما الحوار المتهزل بالوصف السابق فلا نفع كبيراً منه ، وقد يضر .

#### رابعا: تقييم للماضي، واقتراحات للمستقبل

١- اتضح مما ذكر سابقاً ، أن الحوار المعاصر قد نجح خلال الأربعين سنة الماضية في كسر حاجز المخافة بين العالمين الإسلامي والمسيحي ، وإتاحة الفرصة لهما للسير في طريق التقارب ، وتحديد التعريف بما يلتزمان به من عقائد

عليها ثم معاناة نتائجها<sup>(١)</sup> . ومما يجرى هذا المجرى قيام لجنة حوارية في لبنان ، معنية بالشأن الإسلامي المسيحي المحلي في هذا البلد المتعدد الأديان والأعراق ، والمهيأ تاريخياً لحسن التوافق . وحبذا لو شكلت لجان أخرى على غرارها في مصر وسوريا والأردن والسودان . ثم ما أحسن أن يتابع هذا النموذج الجيد من الحوار (الحوار المحلي للعيش المشترك) ، في كل مكان يحتاج إليه .

#### ٨- حوارات أخرى :

الحوارات السبعة المذكورة تتصف بالتحديد ، وفيها من الإيجابيات أو السلبيات ما بيناه . وبقيت بعد ذلك حوارات ذات طابع تعميمي أو مغاير لما ذكرناه ، ولا يمكن تقييمها مسبقاً ، لأن لكل حوار ما يبرره في وقته . غير أن ما أريد بيانه باقتراح عبارة (الحوار المتهزل) ، هو التنبيه على أن الحوار المعمم إذا لم يوجد ما يبرره

(١) ظهرت مؤخراً كتب في مصر ولبنان تذكر الإشكالات والشكاوي بصورة صريحة ، وهي خير عون على تنظيم حوارات العيش المشترك في هذين البلدين وغيرهما ، انظر :

د. نبيل لوقا بياوي : مشاكل الأقباط في مصر وحلها . القاهرة ٢٠٠١ .  
د. مصطفى الفقي : الأقباط في السياسة المصرية . دار الهلال . القاهرة . ١٩٩١ .  
د. أليز منصور : قدر المسيحيين العرب وخيارهم . دار الجديد . بيروت ١٩٩٥ .  
فهمي هويدي : مواطنون لا ذميون . دار الشرق . القاهرة ١٩٩٠ م .  
فضيل أبو النصر : هواجس المسيحي اللبناني . بيسان . بيروت ٢٠٠١ .

ومفاهيم، والرد على ما قد يرد عليها من استفسارات، وإقامة علاقات تفاهم وتعارف وتعاون بين رجالتهما وعلمائهما خاصة في مناصرة المثل والقيم التي يتوافقان عليها .

كما اتضح أيضاً أن مسيرة الحوار تحتاج إلى مزيد من التصويب والتسديد، بالتدقيق في بيان الأهداف، وتحديد المرجعيات الموجهة للمتجاورين، وحسن الاختيار لموضوعات التباحث . وفي الوقت الذي حذرت الدراسة من تلبس الحوار بنزعات التبشير المبطن، أو التلفيق الديني، أو الاستغلال السياسي، أو ممارسة الحوار ممن ليسوا مؤهلين له، أو إقحام الناشئة في شئونه، أو الاشتغال بالموضوعات الحساسة من أمور العقيدة وثوابت المجتمع، أو توسيعه بلا احتياط كاف خارج إطاره الأصلي بين الإسلام والمسيحية، مع عدم المعارضة على التفاهم مع أتباع الديانات والفلسفات والحضارات والأيدولوجيات، فالبشر جميعاً عيال الله - فقد استحسننت الدراسة مشاركة الأكاديميين والجامعيين والمتخصصين في الدراسات الدينية وغيرها، والاهتمام بالحوارات المحلية، وموضوعات العيش المشترك، ومعالجة

الخلافات المترسبة والطارئة بين المسلمين والمسيحيين خاصة في الأقطار التي يتعايشون فيها .

٢ - ولكي تُندارك المحاذير، ويتحقق المزيد من الإنجازات، ولضمان استمرار اقتناع العالمين بجدوى الحوار في المستقبل، وتحاشياً لما قد يعتريه من التكرار الممل لمباحثاته، أو فقد الثقة في جدواه ونتائجه - لا بد من اتخاذ خطوات جادة ومستعجلة من قبل الطرفين بالتفاهم المخلص المشترك، في مجالات : التنظيم والتنظير، ووضع الضوابط، وبيان الأنشطة والممارسات .

٣ - فأما من حيث التنظيم: فقد آن الأوان لأن يكون للحوار الإسلامي المسيحي حضانة مشتركة، وفرص جادة للتنسيق بين جميع العاملين في مجاله . وقد يتم ذلك بتنظيم لقاءات مشتركة من حين لآخر لممثلي الجهات المعنية والمشاركة؛ للتشاور، والتنسيق، وتبادل المعلومات والاقتراحات . ولا يعني هذا أن تنشأ لجنة تنظيمية مشتركة، أو حتى مائدة مستديرة للتباحث؛ لأن ذلك قد يعطي الوهم الذي لا يرغب فيه أحد بقيام تجمع ديني تحت أي تسمية . وإنما المقصود هو التلاقي المشترك لتحقيق ما

ذكر، وللتعاون على توجيه حركة الحوار إلى الممارسات النافعة، وتجنّبها ما قد يخرجها عن مقصودها . وقد يُدعى إلى هذا اللقاء من قِبَل الفاتيكان، أو مشيخة الأزهر، أو رابطة العالم الإسلامي، أو مجلس كنائس الشرق الأوسط .

كما أن الأوان أن تنشأ مرجعيات محلية للحوار، تعتني ضمن ما تعتني به بالتوثيق، والإعلام، والمتابعة .

٤ - وأما من حيث التنظيم : فمن الضروري وضع تعريف جامع مانع للحوار . وإذا صعب الاتفاق على ذلك، فإن تبادل الشروح والتوصيفات والملاحظات يفيد في بيان الأهداف والمقاصد .

وبالإضافة إلى العموميات التي يُفترض من الحوار أن يحققها، فإننا نقترح التركيز على ثلاث مجالات رئيسة، تنبثق عنها موضوعات الحوار في المستقبل، وما يعين على حسن ممارسته من الدراسات والإحصاءات والاستبانات واستقراء المؤلفات في موضوعه والاقتراحات التي ترد حوله . وهذه المجالات: التعريف والتعارف، والتعايش أو العيش المشترك، والتعاون .

ونعني بالتعريف والتعارف : تبادل المعلومات عن الدينين وعالميهما والحضارتين المنبثقتين عنهما، والتقاليد السائدة في مجتمعاتهما، وتاريخ كل منهما، والتزاماتهما، ودونما تدخل في الموضوعات الحساسة تقديم الشروح عن الأمور المستحقة للاستفسار، ومبرراتها، والتطلعات المستقبلية لهما، وكل ما من شأنه أن يبدد التصورات الخاطئة التي ترسبت مع الزمن . وقد أوضحت حوارات الماضي حسامة التصورات التي من هذا النوع وتفشيها دون أي مستند لها .

ونعني بالتعايش والعيش المشترك : حصر الإشكالات الحاصلة بين المسلمين والمسيحيين في كل مكان، ورصد الشكاوي والاعتراضات، ودراسة الآمال والطموحات، والاتفاق على آداب التعامل، وبيان الحقوق بالعدل والقسطاس المستقيم .

ويقتضي التعايش على المستوى الوطني الدعوة إلى لقاءات بين ممثلي التجمعين، ومراجعات مع المسؤولين الدينيين والسياسيين والإداريين، ومتابعات مستمرة لما يتوصل إليه من حلول، مع الأناة والحكمة وحسن

التأتي.

وتحقيق ما ذكرناه ليس بالأمر الهين لأنه يحتاج إلى جهد ووقت طويلين، ولنأخذ مثلاً شكاوى الأقباط في مصر ذات الأغلبية المسلمة، كما بينها أحد مفكري الأقباط في مصر<sup>(١)</sup>، إذ نجد أنه حصرها في عشر مشكلات، بعضها دستوري وبعضها سياسي. ومن ضمنها أيضاً مشكلات إدارية وتعليمية وإعلامية وأمنية وغيرها. ولو أخذنا واحدة فقط من هذه المشكلات، وهي المتعلقة ببناء الكنائس وترميمها، نجد أن جذورها تعود إلى سنة ١٨٥٦م خلال فترة الحكم العثماني، وقد تدرج علاجها منذ ذلك الوقت حتى الآن، وما زالت تحتاج إلى تكملة، ولو رجعنا إلى النصوص الإسلامية لوجدنا أنه لا مبرر للمشكلة من أصلها؛ لأن حق المسيحي في التعبد وصيانة كنيسه مكفول ابتداءً من العهد الذي بذله النبي ﷺ لنصارى نجران، وعهد عمر بن الخطاب ﷺ لنصارى القدس وفلسطين، والعهود التالية المتوافقة على ذلك. لكن المشكلات التي من هذا النوع تمر بتعقيدات تاريخية وتشريعية وأمنية،

وبالصبر وحسن التفهم يمكن حلها بما يرضي الجميع، لسبب بسيط هو أنه يلزم حلها بحكم التعاليم الإسلامية. ومثل ذلك يقال عن مشكلات المسلمين في البلاد التي يشكلون فيها أقليات صغيرة أو كبيرة، وسواء أكانوا من المواطنين الأصليين أم من المهاجرين. فهذه المشكلات أيضاً ليست مستحيلة الحل ويلزم لها أيضاً الصبر وحسن التأتي بمراعاة القوانين المحلية السائدة وبالأسلوب الحسن.

ومن الحوارات الجادة في موضوع التعايش، الحوار الذي أشرنا إلى عقده في القاهرة تحت عنوان (المواطنة والديمقراطية وحقوق الإنسان). لقد شمل البحث في ذلك الحوار المراجعة الدينية لموضوعات: أهل الذمة، والجزية، ودار الإسلام، ودار الحرب، والخدمة العسكرية، والتمثيل السياسي لجميع المواطنين بصرف النظر عن دياناتهم. والمهم هو أن الجانب الإسلامي في تلك الندوة هو الذي أتي بالحلول والاجتهادات الجديدة، واتضح أن المكتبة الإسلامية المعاصرة قد حفلت بكتب نفيسة لحل الإشكالات، لكنها لم

(١) وهو الدكتور نبيل لوقا بياوي في كتابه: مشاكل الأقباط في مصر وحلها. والدكتور بياوي باحث قبطي معتدل.

تُعط حقها من الذبوع . وبالحوار وحده تتحقق الإذاعة والمتابعة والتصحيح بتوفيق الله<sup>(١)</sup>.

ونعني بالتعاون، تشارك المسلمين والمسيحيين في مواجهة الشرور التي ينهى عنها الدينان بصرف النظر من مصدرها. ومن هذه الشرور: الإلحاد، والمادية المسرفة، والظلم الاجتماعي، والاستعمار بجميع أشكاله وصوره، واستعلاء الدول الغنية على الدول الفقيرة وغمطها حقوقها في التنمية المستدامة، والتفسيخ الخلقي، والإرهاب، وتملك أسلحة الدمار الشامل، وإفساد البيئة والمناخ الكوني، وعدم مساعدة المجتمعات التي تفتك بها الأوبئة والأمراض المعضلة، وحرمان الشعوب المستحقة من حق تقرير المصير، والتعابث بالبحث العلمي بإدخاله مجالات الاستنساخ البشري والهندسة الوراثية غير العلاجية، وأشباهها . كما نعني بها التعاون البناء في أمور التعليم، والعلاج، والتغذية للمجتمعات المهددة بالجدب والمجاعات، والتدريب المهني، وكل هذا أجمله القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ .

٥ - وأما الأنشطة والممارسات: فقد مورس منها حتى الآن الثنائيات، والحوارات الموسّعة، وحلقات الاستشارة إما في موضوعات تنظيمية وإما لاستبانة أحكام الدينين في موضوع معين كحلقة (التبشير والتبليغ في الدينين) التي عقدت في شامبسي بتاريخ يونية ١٩٧٦ م . ومن الممارسات الحسنة التي بادر بها الجانب المسيحي توجيه التهاني في المناسبات الدينية كالأعياد وشهر رمضان، وقد دعا البابا بول يوحنا الثاني الكنيسة إلى ممارسة غير مسبقة وهي صوم يوم من أيام رمضان، ولكن طبقاً للصيام المسيحي بطبيعة الحال .

ولكن العالم الإسلامي يطمع في الوقت الحالي، بعد موجة العداء الموجهة إلى العالم الإسلامي بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ المؤسفة، أن تقوم الكنائس بتصحيح هذا التوجه الخاطيء في الغرب. فإنه على افتراض أن مسؤولية تلك الأحداث قد ثبت ارتكابها من قبل بعض المسلمين المخطئين، فلا ذنب للعالم الإسلامي في طيش بعض أبنائه . وقد ارتكبت حادثة أو كلاهما المؤسفة والتي راح ضحيتها حوالي ٢٠٠ من الضحايا،

(١) انظر بحثنا بعنوان: الحوار من أجل التعايش داخل المجتمع الإسلامي، وهو قيد الطباعة من قبل منظمة الإيسيسكو بالرباط .

أن عمم كتاباً من جزئين يدين فيه  
التطرف والإرهاب، حتى يسترشد به  
الدعاة والأئمة في بيان هدي الإسلام  
المسلم للناس، وعنوان الكتاب يدل على  
مضمونه وأنه رسالة للمسلمين، والعنوان  
مقتبس من قوله تعالى : ﴿هَذَا بَيَانٌ  
لِّلنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup> وللاقتباس دلالاته.

من قبل أمريكي أبيض، ولم يقل أحد  
بعدها إن البيض في أمريكا يتحملون  
مسئولية الجاني الفرد، وقد قام العالم  
الإسلامي بما يجب عليه من استنكار ما  
حصل وبيان حرمة المغلظة في الدين،  
واتخاذ الإجراءات الصارمة ضد من  
يشبه في تطرفه، وسبق للأزهر الشريف



(١) الآية من سورة آل عمران (٣ : ١٣٨) والكتاب بعنوان (بيان للناس : من الأزهر الشريف) مطبعة الأزهر القاهرة ١٩٨٤ .